

الجزء الأول:

كانت ساحة كبيرة غير متضحة الملامح،
طيبة الرائحة، تثير الفضول وتغرس رغبة المغامرة.

حاولت الاقتراب منها كثيرا الا أنني دائما ما أجد نفسي مقيدا فلا أرجع الا وقد ازددت اصرارا
على العودة مرة أخرى.

كل يوم أشاهد المنظر الغامض فتتوق نفسي الى معرفة خباياه وحقيقة شكله ومظهره،
سيطرت الفكرة على رأسي واحتلت الجزء الأكبر من اهتمامي حتى جاء يوم تحررت مني
القيود لأجد نفسي أمام باب ضخم
أتحسسه بشغف على أعرف ما وراءه.

كان شعورا غريبا اقشعر منه بدني واضطربت له نفسي متوجسة مما تجهله.

ظل الحلم يراودني يوما بعد يوم، وبدأ شعور الرهبة يضمحل تدريجيا حتى وجدت نفسي يوما
أطرق الباب غير عابئ بما يخفيه.

استجمعت قواي وشحذت حواسي ثم دخلت من فرجة صغيرة أترقب بحذر الأشياء من حولى.

كانت أجمل مما توقعت،

وسريعا هدأت نفسي وسكنت روحي.

غريبة هذه المدينة يبدوا عليها الحزن رغم جمالها، والقلق رغم سكونها، والغموض رغم
بساطتها.

لم تتمتع عيني كثيرا، فسرعان ما احسست بحجارة حادة تدمى القدمين وتبلى الأحذية سريعا،

أسرعت فى المسير أبحث عن مكن أفضل قليلا،

انزلقت قدماى فجأة فى حفرة كبيرة أشبه ببئر عميق،

حاولت التشبث بجدران البئر الملساء، أخذت أصرخ وأصيح فما أجابنى غير صوت ارتطامى
بالقاع الصلب، و أظلمت الدنيا من حولى.

استيقظت من النوم وقد اعترانى فزع شديد حتى بت أشعر بالآلام الارتطام تغمر كل جسدى.

ولفترة غير قصيرة، جلست صامتاً شارد الذهن أحاول تفسير ما حدث دون جدوى.

مضت بضعة أيام لم يفارق فيها الحلم مخيلتي، لا أمل من التفكير فيه محاولاً سبر اغواره وفهم غموضه،

كانت ليالى الشتاء الباردة تضيف على غرقتي رهبة و وحشة،
أحكمت اغلاق النافذه واطفأت المصباح.

كان الظلام مخيماً على المكان من حولى ولم أدرى فى اى مكان انا الآن،

كل ما استطعت تمييزه كان صوت أنين رقيق لم أسمع مثله فى حياتى،

سرت فى جسمى قشعريرة بارده وبدأ الخوف يدب فى أوصالى،
جاهدت هواجس نفسى واستجمعت قواى ونهضت من مكانى،
ثم تحركت باتجاه الصوت الذى أخذ يزداد رويدا رويدا كلما اقتربت منه.

بدأت ارى ضوءاً خافتاً الا انه كان كافياً لأرى طريقى جيداً، وما هى الا خطوات قليله حتى
وجدت نفسى فى الساحة الجذابة مرة أخرى.

كدت أن أنسى ما قادنى الى هذا المكان الجميل الا انه ظل يتردد على مسمعى بحزن شديد.

أرهفت حواسى وأخذت أتبع الصوت من جديد حتى وصلت الى كوخ جميل المنظر حوله حشد
من الناس،
يقف على بابه رجل طيب المظهر يوزع الطعام على الناس ويجيب من يسأله منهم.

تعجبت كثيراً، فلقد خيل لى أن الصوت قادم من داخل الكوخ.
ازداد الغموض غموضاً وبدأت أشعر بالقلق مرة أخرى حتى حسمت أمرى.

تسللت الى الكوخ فى بطئ وحذر باحثاً عن الصوت الذى اصبح قريباً جداً من باب الكوخ
الخلفى،
اقتربت من الباب الخشبي وبدأت ادفعه الى الداخل ببطئ شديد وقلبي يخفق فى شدة وتوتر،
راودتنى نفسى كثيراً أن أرجع من حيث أتيت او ابتعد سريعاً قبل فوات الأوان،
لكن فضولى كان له رأى آخر.

كان الكوخ من الداخل قائم اللون ضعيف الانارة اشبه ببيت مهجور عفى عليه الزمن.
شيئاً فشيئاً بدأت عيناى تعتاد الظلمة وتميز الأشياء من حولى حتى تبينت صاحب الصوت.

اندهشت كثيرا وظللت واجما أحقق فيما تراه عيني حتى ظننت انهما تخذعاني.

لم يجل بخاطري ابدأ ان ساكن هذا المكان جواد أبيض جميل سرعان ما سرى حبه في قلبي.

الجزء الثانى:

تأملت عيناه الحزينه التى بدت وكأن بريق الحياة قد نزع منها،
شعرت بالأسى من أجله وودت أن يحدثنى ويشكوا الي علي أستطيع أن أخفف عنه،

اقتربت منه أداعب شعره الجميل وأربت على ظهره فخيل لى انى لمست جسدا ميتا من فرط
برودته،

حرك رأسه تجاهى كأنه يقرأ أفكارى ويتجاوب معها،
الا ان حركته زادتنى حيرة وعجبا،
كانت انفاسة حارة ملتهبة كأنما هى قادمة من قلب بركان ثائر، وعينييه الحزینتين يكاد الدمع
ينفجر منهما الا أنه لم يعرف ابدأ طريقه
خارج أجفانه الصلبة.

شعرت بالتعب من شدة انفعالى فتوجهت الى حائط قريب وأسندت ظهري عسى ان استريح
قليلا،

لم أصرف عيني عن جوادى الحزين حتى داعبنى النعاس فأرخيت جفنى مستسلما.
هى لى ان الجواد ينهض من مكانه يتجه نحوى كأنه يعرفنى منذ زمن بعيد

بدأ حكايته ايام كان مهرا صغيرا يداعبه ابواه ويدللانه،
كيف كانت حياته بريئة بسيطة آنذاك،
كل شئ كان جميلا هادئا رغم قيود والدية وقسوتهما عليه،
ولكن للحياة سنن، ودوام الحال من المحال، فسرعان ما كبر المهر واشتد عوده وبدأ يدرك
الأمر من حوله.

لم يفكر يوماً بطبيعة عمل أبويه فلم يكن يهتم بمثل هذه الأمور،
و الآن قد أصابه الدور وعليه أن يعرف الكثير.

أقبل على العمل بشجاعة ولم يتذمر رغم أنه أبداً ما وجد فيه راحة أو سعادة،
يبدأ يومه باكراً بجر عربات الفلاح الثقيلة إلى السوق ثم ينتظر صاحبة حتى يبيعها ليعود لينقل
أغراضه إلى الكوخ مرة أخرى.

ظل الأمر كذلك حتى جاء يوم انقلبت فيه حياته رأساً على عقب.

كان كعادته في ذلك الموسم ينقل أغراض صاحبه من بلد إلى آخر، لكن تأتي الرياح بما لا
تشتهي السفن،
فعلى غير العادة هاجمتهم عصابة تقطع الطريق عليهم لتنهب ما يحملونه من خيرات،

اضطرب الجواد الوفي وحاول الفرار بالعربة وصاحبها إلا أنهم أحكموا الدائرة عليه،
لقد كانت حياته منذ بدايتها لا تعرف إلا جر العربة ونقل الأحمال، أما خيول اللصوص فقد
دربوها جيداً على الكر والفر
وشدة البأس والسرعة.

وانتهت الحادثة بسرقة متاعهم ولم يصب صاحبه بسوء، فأخذه راجعاً من حيث أتى.

ولم يكد يصل إلى الكوخ حتى انهال عليه صاحبه بالسوط يضربه ويلقى عليه باللوم ويتهمه
بالتقصير في حمايته من النهب والسلب.

أطرق الجواد وسادت لحظات تعيسة من السكون وكأنما انحبست الكلمات في جوفه،

مددت يدي امسح على ظهرة وأداعب شعره كأنما هو إنسان رقيق الممت به نازلة شديدة،
ثم أكمل انينه،

لقد كنت منكسر النفس فاقد الثقة فجاء صاحبي ليجهز علي ويقضى على ما تبقى من فتات
نفسى.

لم استطع أن ألومه حينها إلا أنه أمعن في تعذيبى فقاطعنى وأخذ يحابى الخيول الأخرى التى
معى بعد أن كنت جواده المفضل.

كنت مشتاقاً إلى لمسة حانية من يده تخفف عني وتعيد الأمل إلى نفسى، إلا أنه لم يفعل.

نظرت الى عينية الداميتين فكأنهما يستعيدا ما حدث مرة أخرى ليزداد ألمه شدة ويزداد جرحه عمقا.

ومضت عدة ايام وهو على ذلك الحال حتى بدأ صاحبة ينسى مع الوقت ما حدث ليعود ليهتم بجواده مرة أخرى.

ربما لأنه أشد خيله بأسا وأكثرهم وفاء، وربما أنه تذكر حبه له وكيف لم يخذله قبل تلك المرة، لكنه لم يدر أبدا ما حمله جواده المخلص فى قلبه، بل لعله لم يتخيل يوما ان يكون للجواد قلب ينبض أو حس مرهف.

ازدهرت تجارة صاحبة فى ذلك الوقت حتى امتدت الى بلاد بعيدة ارسل اليها بعض أعوانة ليتابعوا تجارته وأمواله فى تلك البلاد، واختارة صاحبة ليقوم بنقل البضائع الى اسواق تلك البلاد. وبعد رحلة طويلة وصل الى الأرض الجديدة، فانتعش الأمل فى قلبة وتطلع الى حياة جديدة يحرس فيها البضائع بدلا من جرها.

لم يدر أن أمله سيتحطم فى صباح اليوم التالى، وكأن الزمان يعيد نفسه ويأبى ان يعطيه ما يريد.

الجزء الثالث والأخير،

الأمل يعطى القدرة على الحياة.

هكذا عاش جوادى على هذا الأمل،

أشياء كثيرة استمد منها وقود قلبه، حلمه فى ساحات الفروسية والدفاع عن الحق، فرسة عربية أصيلة تؤمن به، عزيمة واصرار ويقين.

الا ان روحة ظلت حبيسة الآمه وهو يعرض عنها لكنها تطارده أينما ذهب.

طوى حزنه فى قلبه وأغمض عينية ثم هوى صريعا تحت قدمى.

لقد مات جوادى الأبيض.

مقدمة الجزء الأول بعد الأخير،

البعث.

.....

ينال الانسان من هدفة على قدر عزيمة.

لم أستطع التوقف عن التفكير فى جوادى الأبيض الرقيق، ووددت أنه لو عادت الي أحلامى مرة أخرى يبتنى شكواه وأشاركه الآمه.

لكن الخيال يقف عند الموت والبعث يرهبهما ويخشى أن يتناول عليهما.

لم يرحل الجواد من احلامى الا وقد زرع روحه داخلى، فكأنما امتزج قلبينا فصرنا نشارك مشاعر وأحاسيس واحدة.

تأملت حياتى فوجدتها لا تختلف كثيرا عن حياة جوادى الحبيب،
الا أنه مازال لي قلب ينبض وعقل يفكر ويتعلم.

كان موته بداية لى اورثتنى قلبا شجاعا وعزيمة لا تنكسر مهما كثرت الكبوات وطالت الأحزان والآلام.

اتذكر الآن كيف تشابهت بداية حياة كل منا،
كنت أعتقد أن الأمر سيكون أفضل كثيرا عندما أنال حريتى وأقبل على حياتى أصنعها بنفسى،
تماما كما تطلع جوادى الى حياته بعد سفره.

كانت صدمتى الأولى فى الناس من حولى القريب منهم والبعيد،

وجدت وجوها قبيحة عديدة أكاد لا أقدر على التنفس حينما أنظر إليها،
وجدت مسوخا بلا روح تطعم الذل وتشرب الهوان من أجل العيش والبقاء.

اما من استيقظت داخله شبة حياة، حصر تفكيره فى نفسه لا يعبد سواها.

أعيتنى الحقيقة وأثقلنى حالى وأصبحت غريبا حتى عن أهلى.

لجأت الى أقرب الناس الي أحاول التزود من خبرته ونفسى قد امتلأت تفاؤلا وزهوا بعد ان
اصبح لى بداية عقل ناضج
ونفس تأبى أن تكون من اشباه الرجال.

تذكرت جوادى حينما كان واقفا أمام صاحبه يفصح له عما يجول بخاطره ويقطع فى نفسه،
فلم يكن منه الا أن أنكر عليه حاله واتهمه بتفريطه فى عمله بجر العربات وحمل الأثقال.

ولم أكن أحسن منه حالا حينما فعلت ما فعل.

حينها ايقنت أننى صرت وحيدا حقا، رغم ما بقى من اناس تشعل الأمل فى نفوسنا.

تحولت حياتى الى جرعة كبيرة من الألم.. أسترق لحظات السعادة منها فيطار دنى الواقع
والحال.

عرفت لماذا أصبح حال الناس هكذا،

لقد خسر المجتمع عقيدته وأخلاقه فهوى فى ظلمة سحيقة ازهارها بغير لون او رائحة.

صرت حبيس نفسى أفتش عن لحظة أتوارى فيها بعيدا عن أعين الناس ونفوسهم،
أحتضن قلبى وأربت عليه فى عطف ومودة حامدا الله على نعمه وفضله.

أيقنت أنه لا فائدة من الافصاح عن حقيقة نفسى حتى لأقرب الناس،
يجب أولا أن أحقق النجاح والسعادة بمقاييسهم حتى لا أتهم بالتقصير والعجز،

لكم هو شعور صعب أن تعيش عالمين مختلفين أحدهما مع المجتمع والآخر داخل نفسك.

تضحك مع الأول وتبكي فى ذات الوقت مع الآخر.

ربما كان الأمر قاسيا بعض الشيء الا أنه الحل الواقعى الوحيد لكل من هو غريب عن هذا

العالم.
ومن لا يقدر على الألم، عليه أن يختار بين الواقع الذى يعيش والحلم الذى يتمنى.

.....

انتهت مقدمة الجزء الأول بعد الأخير.

مع موعد بلقاء قريب ان شاء الله مع الجزء الأول.

جزاكم الله خيرا وسلمكم من كل سوء.

الجزء الأول بعد الأخير،

....التحدى....

يتعامل قلب المؤمن مع القدر كجزء من إيمانه، بل ان الرضى عن قضاء الله وقدره غاية لا يصل إليها الا من حسن إيمانه وصدق يقينه.

ومنذ ان مات الجواد الأبيض فى حلمى وانا أفكر طويلا بأمر القدر، كثيرا ما أشعر انه لم يكن حلما وأن ما رأيته هو انعكاس لصورة قلبى التى تتقاسم الكثير مع جوادى الأبيض.

لكن حكاية الأقدار لا تنتهى، والملاحظ انه حين يأتى ذكر القدر أمام الناس تتبادر الى أذهانهم صور محدودة كحوادث الطرق أو الغرق أو غيرها مما يعزونها الى الأقدار، لا أدري كم من الناس يفكر فى حياته ويرى القدر يحرك كثيرا من الأشياء التى يحسبها الإنسان مبعثرة وبلا معنى،

الناس مع الأقدار لهم شأن عجيب، فمنهم من يتخذ عدوا يلقي عليه بكل أسباب تعاسته وفشله، ومنهم من يتعامل معه على انه لا وجود له ويحاول اقناع الآخرين بذلك، كهؤلاء من مخرجى السينما الغربية، ومنهم من يتعامل مع القدر بالواقع والتسليم لما فوق طاقته وارادته فتارة يثور عليه وتارة يستسلم له وتارة أخرى يدعى صنع قدره بنفسه، اما النوع الأخير، فلا نراه الا فى المسلم الحق الذى يؤمن بالقدر من منطلق ايمانه بالله وقدرته وبالاختبار الذى يعيشه فى الدنيا، فنراه عند الشدائد صابرا محتسبا راضيا غير معترض، لا يركن عن الأسباب ولا يعترض على النتائج،

دققت فى الأمر فوجدت ان هناك شق ممن اسكنوا حب الإيمان قلوبهم وجعلوه غايتهم التى يحيدون عنها يتعاملون مع القدر بأسلوب مختلف، وكأنما هى رسائل ربانية تقودهم وترشدهم وتمحصهم وتبشرهم، وما عليهم الا أن يحسنوا قراءة الرسالة.

أحيانا كثيره المس حقا كيف ان حياة المرء قد قدرت من قبل فى الكتاب بعلم الله الواسع المحيط، كيف جئت الى هذا المكان بالذات والى ماذا انتهى اصحابى الذين شاركونى نفس الطريق كما نرى فى ظاهر الأمر؟

لماذا عرفت هؤلاء ولماذا حدثت مشكله هنا ولماذا هذا التوقيت بالذات؟؟
لماذا نجحت فى ذاك الشئ وأخفقت فى الآخر، لماذا شعرت بالحزن ولماذا أحسست بالغربة؟

حين انظر الى كل هذا أجد نفسى وقد أبصرت شيئا اسأل الله ان يكون خيرا وتمكيننا بطاعته ورضاه لا استدراج ولا اغترار، لكن النفس لا تهوى الأهوال وتنفر من الشدائد ولا تريد تحمل الأحزان والآلام، تكتوى من كل ما تبغض وتثور على كبح جماحها، تظل تحلم وتتخيل وتتمنى وترغب حتى اذا ما أفاقنا أيقنت ان الأمر مرده الى الله ولا عليها منه الا السعى فقط.

شعرة بسيطة جدا تفصل التوكل عن التواكل، والكيس هو من يجعل دائما ميزان العمل نصب عينيه يحاسب نفسه دائما، لا يلتمس الأعذار بقدر ما يقف على حقيقته، لا يخشى من مواجهة نفسه مهما حملت من قصور وضعف، ثم عليه الا يفسد الأمر بسوء تقدير الدواء.

حينما راجعت حياتى كنت أعجب دائما لماذا لم انتهى بعد كل مواقف الضعف التى مررت بها، كيف أخرج منها ثم أعود بفضل الله وقد أيقنت انه لولا قدر الله ورحمته لكنت الآن اسوأ حالا،

حتى فى الأمور التى كنت اتمناها فيحدث النقيض منها وتنقلب الأحوال وتنشج بالسواد كما كنت أتخيل،
ثم لا ألبث ان اشكر الله على انه قدر لى حالى كما انا.

بل ان أكبر التغيرات التى أثرت فى حياتى كانت بعد موقف ضعف شديد ظننت للحظة انه
النهاية،
وبعدها أحسست ان حياتى الحقيقية بدأت من هذا الضعف الشديد، وبت أحمد الله ان قدر لى
بفضله هذا التغير الكبير.
والضربات التى لا تقصم الظهر تقويه.
والمسلم لا ينقصم ظهره وفى قلبه ذرة من إيمان.

وليت الناس تتعامل مع الأقدار بشفافية ووضوح،
ليتهم يتركون القوانين التى ابتدعوها ويتعلموا حقا من الأقدار،
ليتهم يفكروا ولو للحظة واحده فيما يبعثه الله اليهم من رسائل لو اعتنموها لتغيرت كثير من
أحوالهم،
الا أن الإنسان يحبس نفسه داخل شرنقة ضيقة يخشى ان يخرج منها حتى ولو الى بيت كبير
واسع،
ربما الخوف من التجربة واحتمالات الفشل، وربما هى دعة النفس ورهبتها من التجربة وأخذ
ذمام المبادرة،
وربما الخوف من المجتمع والناس، اسباب كثيرة جدا، الا أنها تنتهى فى أغلب الحال الى نفس
النتيجة تقريبا..

العز بن عبد السلام يفهم رسالة القدر ويعمل على رعاية قطز العبد البسيط الذى اشتراه من
السوق لما رأى فيه خيرا،
وأحسب ان حسنات قطز تصب فى حسنات من رعاه،
بل ان قطز نفسه كانت حياته كلها تدبيرا من الله وقدره قد كتبه وأنعم عليه بفهمه وحسن التوفيق
اليه.
ترى لو نظر العز بن عبد السلام الى قطز نظرة العبد فقط وسجنه فى هذا القالب أكان سيكون
مخطئا؟
بل لعل البعض قد لومه على انه يؤثر قطز على ابنه العاق،
ترى كيف كان ينظر المجتمع الى رجل يولى عبدا عنده هذه الرعاية ويحاييه بالموده اكثر من
ابنه الذى من لحمه ودمه ؟

نفس التساؤل يطرح نفسه فى عالمناء، من منا عنده قدرة على مواجهة الناس والمجتمع بشجاعة
ليعلن اختلافه عن نهجهم ومعتقداتهم؟
لماذا علينا دائما أن نقتل البراعم فى مهدها بدلا أن نوليها رعايتنا؟
لماذا أصبحنا ننساق وراء قواعد المجتمع رغم معرفتنا بفساد معظمها؟

لماذا لا نفكر فيما تصنعه الأقدار بأمثلة من حولنا كل جريرتها أنها مختلفة عما ألفته مجتمعاتنا؟

وإذا نظرت الى ما افتقدته فى صغرى وصباى أشعر بوحشة واشتياق وألم شديد من جرح عميق،

أشفق على قلبى الدامى ثم لا ألبث أن أتفكر فى حكمة الله ان أكون هكذا،
وكأن القدر يأبى الا أن يدفعنى فى طريق بعينه،
وتحدثنى نفسى بأنى أدفع ثمنا باهظا وأنه رغم سمو الغاية فإن النهاية غير مأمونة العواقب،
أتألم كثيرا حين أجد نفسى فى خانة الفاشلين فى حكم المجتمع،
واتألم أكثر حين أعرف أننى أحرم من أمور قد تآقت إليها نفسى ثم رفضتها حين أيقنت أن المجتمع اذا أعطانى إياها على حالتى هذه
أعطانيها متفضلا لا مستحقا لها.

فإذا ما حدث صدام أو تغيرت النفوس قليلا كان المن بما كان منها من عطاء،
وكيف بنفس عزيزة ان ترضى بشئ يظن صاحبه انه يضحى ويتفضل بها عليها، حتى وان كان
هذا الظن من صنع أفكار المجتمع لا أكثر.

كلا، من له هدف بعيد المدى عليه ان يمشى فى طريقة غير مبال بوعورة الطريق وبعثرات
نفسه مالم تفضى الى قنوط أو يأس.
وإذا قبلت التحدى فلا ترجع نفسك دونه الا بإحدى الحسنيين، وما أوهن مطالب النفس وأمانيتها
ان بذلت من أجل إيمان يمن الله به عليها.

اسأل الله أن يرزقنا بصيرة المؤمنين وعزيمة الأنبياء والمرسلين والسير على درب محمد صلى
الله عليه وسلم وعلى اله وصحبه أجمعين.

الجزء الثاني بعد الأخير

زفرات

جلست الى نفسى أتفقد حالها وأتحسس جروحها وآلامها فلمست غصة فى حلقى وغلينا فى
شرايين دمي،

.. ثم تذكرت كيف كانت أنفاسه
نعم،

نفس نظرات الحزن الدفين الحبيسة فى عينية ،

وذاات القلب الملتاع الذى يعصره الحزن والأسى

كانت زفراته الحارة لا تنن ولا تهدأ، وقلبه الدامى يحترق فى لوعة واشتياق
لم يكن ابدا جوادا عاديا يركن الى ما يركن اليه اقرانه أو يحنى رأسه لأغلاله

ولزفرات القلب قصص لا ينتهى ومعان لا تقدر على وصفها الكلمات وعليها أقام الشعراء
دواوينهم

فمنهم من ضل طريقة متحسرا على حبيب لم ينعم به فى حرام،
ومنهم من جلس على أطلالها يندب حظه والدنيا التى لا تصادف هواه
ومنهم من جعلها سقيا لظلم وانتقام

ثم هناك من جعل زفراته دليلا ومرآة،
تتحرك عاطفته نحو دينه فتختلط بقلب منكسر لله لا يرى فى الدنيا غير سبيل ربه ورفعة لواء
الإسلام،
..تدله على ما يغفل عنه الكثير وتعكس له صورة النفس واضحة بلا تبديل

كلما نزلت الى الشارع وكلما خالطت الناس التهبت زفراتى وتلاحقت فى سرعة تنهد كموج
عات يضرب جدران قلبى وعقلى
ثم تناهت الى مسامعى الدعوات أن عليك بالعلم فإنه مفخرة وعلاء
وعلى الجانب الآخر عزاء،
لا نزال نسمع مذكنا صغارا عن مكانة العلماء، ولم يزل جل الآباء الذين أنعم الله عليهم بالهداية
لا يريدون لأبنائهم غير هذى المكانة
ولا أدرى ما الذى حدث حتى أختل ميزان العقل فى صدورنا فصرنا نحلم دون حكمة أو
تخطيط،
فإذا كانت الغاية حقا هى خدمة الدين فلم لا نربى اولادنا على الفهم الشامل كل حسب ميله
ورغبته؟

فى غمرة نشوتنا ونحن نتخيل منظر تكريم ابنائنا بنبوغهم فى علم من العلوم ننسى أو نتناسى
لسان الحال،
ننسى أن جل علماء أمتنا قد دفنوا حين لم يجدوا من يمد لهم يد العون فيكفيهم معيشتهم وكلفة
أبحاثهم
ننسى أن جل علماء أمتنا لم يصبحوا علماء الا عندما ذهبوا الى الغرب لينفق عليهم ويرسم
شباكهم حولهم حتى لا يعودوا الى أمتهم،
فإن غلبهم صوت ضميرهم أخرسه صوت فساد الزمم وانصراف أصحاب المال عنهم فى
بلادنا
فيصبح الغرب ملاذهم الأخير وخيارهم المر،

نعم هناك من العلوم الخدمية ما يمكن العودة بها والنفع فى بلادنا لا عذر لأصحابها ان آثروا
المال الوفير لجيوب أعدائهم،
وفى الوقت ذاته لا نستطيع أن نطلب من أصحاب العلوم الابتكارية العودة ليقتلهم صاحب
منصب أو مال

نعم لا هداية لأمة من غير علم نافع ينير دربها ويهديها الطريق المستقيم،

ولكن يجب الا ننسى ابدأ أن ابو بكر رضى الله عنه لم يكن ليستطيع ما استطاعه دون بذل ماله في سبيل الله،
وأن كثيرا من الأئمة كانوا يرعون من يتوسمون فيه الخير ويكفونهم تكاليف العيش ليتفرغوا للعلم،
بل جرت العادة أن يجرى الخليفة للعلماء نفقة راتبية من بيت المال حتى لا يشغلهم كسب قوتهم . عن الإضافة لعلومهم

فإذا كنا سنربى كل أولادنا ليكونوا علماء فكيف سنجابوهم حين يشكون معيشتهم وعدم قدرتهم حتى على تحصيل اولويات حاجاتهم؟
ترانا سنطلب منهم أن يستغلوا علمهم لكسب المال أم نقنعهم بانتظار من يأتى فيتكفل بأمورهم حتى يتفرغوا للعلم والإبتكار؟

إذا كنا سنربى كل أولادنا ليكونوا علماء فمن سيعين الفقراء وذوى الحاجة بالمال ؟

إذا كان علينا ان نفيق فيجب أن نخلص أنفسنا من أنانيتها ورغبتها فى الزهو والتفاخر ولننظر حاجات مجتمعنا على الحقيقة

فإذا كان الناس قد جعلوا كنز المال وتحصيل الشهرة غايتهم التى لا يفرطون بها فلنربى نحن أولادنا على الكسب للعطاء
ولنربوهم أن يكونوا مثل أبى بكر وعثمان وعبد الرحمن بن عوف رضى الله عنهم وعن الصحابة أجمعين

فهل ترانا نقدر حقا على ذلك، أم سنلقى بالتبعة على غيرنا فيضيع المعنى مع الكثير الذى ضاع

فإذا تنهدت على ذاك وجدتنى أنتهد على حال شبابنا وقد اتخذوا من الطرقات ناديا ومجلسا يقتلون فيها الوقت وأنفسهم معه
وترى الغالبية وقد رفعت اعلام البطالة السوداء تعلن استسلامها للواقع المزرى وتعلن الظروف التى اودت بأحلامهم
فإذا أمعنت النظر جيدا وجدت ان البطالة شبح لا وجود له الا فى رؤوسنا اصطنعناه بأيدينا وسقيناه بماء الجشع والكبر،

والسوق الذى سأل عنه المهاجرون الأوائل تغيرت ملامحه وتبدلت صفاته،
وأصبح الغش أولى القواعد والإستغلال والجشع اركانه الرئيسية وسياسة الغاب هى القانون الذى يحتكمون اليه
! ثم نندب حظنا بعد ذلك ونشكوا كساد سوق العمل

فإذا ما اتجهنا الى المهن الحرفية انصبت علينا لعنات المجتمع ووضعنا فى قائمته السوداء من المهانين والأذلاء،
وأصبحت القاعده أن نبتسم فى وجه الطبيب مصاص الدماء ونتجهم فى وجه الحرفي الشريف

..والويل كل الويل لهذا الحرفى ان تقدم لخطبة ابنتنا حتى لو كان أكثر منها ثقافة وعلمًا

!!لماذا اذن نتعجب مما يحدث ونشكوا من العنوسة وارتفاع نسب البطالة

انها أشد الزفرات وجعا وألما،
حين نزيّف الأمور برغبتنا ولا نخجل من الأنانية وهي تقطر من حروف كلماتنا ويصدق
صداها في أركان أفكارنا ثم ندعى أننا لا نملك من الأمر شيئا،
والكيس يعرف أنه اذا انتظر الفرد من المجتمع أن يغير نظرتة ومن الآخرين ان يأخذوا زمام
المبادره فعليه ان ينتظر حتى يوافيه أجله

وإذا كانت زفراتنا لا تعدوا كونها تنفيسا لا يتبعه عمل فأولى بها الا تخرج من مكانها وأولى بنا
..ألا نتحدث عنها .

الجزء الثالث بعد الأخير

عبرات ..

. لنعد إلى الوراء بعيداً ، فثمّة تهديدات تلتهم في الصدر
.. وهناك

.. وهناك ذكريات لا تنسى
.. فصبراً أندلساً ، فلن ننساك وإن شط بنا المدى
. ولن نخذلك فنحن إليك قادمون

ما نسينا خبروها ***** كيف ينساها الولوع
كيف يسلوها محب ***** بعدها عاف الهجوع
شهد الليل عليه ***** ضحكت عنه الدموع
أنها حبٌ مكين ***** عرشه بين الضلوع
كم تمنى أن يراها ***** لو لما فات رجوع
صار بعد الوصل دهرًا ***** بشذى الذكرى قنوع
قطفوا الزهرة مئاً ***** زهرة كانت تضوع
قد سقيناها دمانا ***** مثلها كيف يضيع
جنة عنها لُهينا ***** فطردنا بالجموع
وبها عشنا قروناً ***** للدجاجير شموع
يُعجب الشرق علاها ***** ولها الغرب خضوع
ياربى الأندلس الـ ***** خضراء يا طيب الربوع
كم لك اشتاق فؤاد ***** وبك هام ولوع
نسأل الرحمن يوما ***** فيه نأتيك جموع

هكذا انسابت كلمات المنشد حارة حزينة تبحث عن مستقر لها،
وما أقسى العتاب حين يخرج من قلب صادق فيلقى آخرًا مكلوما جريحا،

وتتنزف العبرات حمما تحرق أفئدة المحبين وتشعل صباية العاشقين الصادقين

ولعبرات المخلصين تاريخ كذاكرة الأمم تتنوع أشكالها وأحوالها فى كل نائبة أو إرث جديد ينتظر الطامحين

عبرة تشكو حال النفس وهوانها ومدى ضعفها واستكانتها أمام رغباتها،
وكأنما هو قيد ثقيل يرزح فى القدم فيعيق خطوات الأمل،
فإلى متى نظل نخسر فى حربها وإلى متى نستسلم لأسلحتها؟
والى متى سيظل العجب يرتع فى ساحاتها؟

فإذا ما جفت الأولى انهمرت أختها لتلحق بها، تتحسر على ضياع اندلسها واغتصاب فلسطينها
وانتهاك حرمت أمتها،
تنتظر بعين الخزى الى من سالم عدوها وقدم القرايين لأصنامهم ورضى بالدنية فى دينه
..وعدنا رجالا كأبى عبيدة وعمر وأصحابهما

وعبرة تشكو حال دعائنا ومن رفع لواء القدوة وارتضى حمل الأمانة فلم يعرف حقيقتها ولم
يتركها لحالها،
فالتبس الحق بالباطل والحلال بالحرام وتاه الناس وسط غابات الجديد البراق يعدهم ويمنيهم وما
يعدهم الا غرورا
والكل يصفق لناديه بلا تدبر أو تمييز

عبرة تشكو حال ملتزمينا اذا ما غضوا الطرف عن التزامهم أمام المال والنساء،
لا تشبع بطونهم ولا تمل أفئدتهم من ترزيف الحقائق ومناققة النفس بما ليس فيها،
تزرف العيون على صدى الكلمات ثم تتحجر العبرات اذا ما دعوا الى تنفيذ وتطبيق،
ولا بأس من مشادات وصراعات على سفاسف الأمور فلم يعد عندنا مشاكل أو هموم

وعبرة على حال أهلنا فى غزة،
فإن كنا خذلناهم فما كان يليق بهم أن يخذلوا أنفسهم فيصل بهم الذل الى جر الحمير والحملان
يسترجون العطف من ذنب الشيطان
أهكذا يمتن المسلم نفسه فيساويها بالنعام ؟
أهكذا يفقد المسلم عقله فيرجوا العدل من زبانية الشيطان ؟

... الى متى نظل حيارى نبحث فقط عن حياة
..نطرق الغرب والشرق ولا ننظر الى تنزيل رب العالمين
أم تراها عبرة أخرى على ألوية الوطنية والعروبة الخرقاء،
نفرق بها بين أخوتنا فى الدين ونعود الى جاهلية بعد عزة الإسلام

وأخيرا عبرة حارة على من ليس لديه عبرات
وعبرة حمراء على من اكتفى بعبرته ووقف يعدد عبرات الناس فذهبت حياته دون أن تنبت
العبرات

خفقات قلب

يسير المسلم في حياته بخلوها ومرها يشكر على الخير ويصبر على المر.
يختار ويعزم ويمضي، يحكم العقل تارة ويبحث عن هوي نفسه تارة أخرى،
وتظل القلوب مستودع النوايا والأحوال،

لا نؤمن الا إذا وقر الإيمان في قلوبنا ثم صدقه العمل،
ولا يقبل العمل الا إذا كان القلب خالصا في نيته لله عز وجل،
بل لعلنا محاسبون علي خفقات قلوبنا،
علي أي شئ نفرح وعلي ماذا نحزن ونغضب.

قلوبنا اليوم مجروحة مكلومة، ولا أدري هل ذلك لحال أمتنا أم لحال أنفسنا.
ومع ذلك لا تهدأ الخفقات ولا تستحي من الحال فتظل تؤرق مضاجعنا وتسرق الكري من
عيوننا.
بل وأصعب ما في الأمر أن يصل بنا الحال الي الشوق للخفقات ذاتها وكأنها دليلنا علي الحياة.
فإذا ما تصاعد صوت اندفاع الدم في جراته واعتصار الشوق لكل ذرات جدرانه ارتمينا في
أحضان أنفسنا نبحت عما افتقدناه وما بكينا عليه.

وإذا كان العقل هو سيد القرار الأخير فإنه لا يملك سرورا أو كآبة، وياله من اختبار.

هل تخفق قلوبنا حقا علي قتل أخواننا وتدنيس مقدساتنا واغتصاب اراضيها ونسائنا ؟
وهل تخفق قلوبنا علي غير مسلم لم نبلغه الإسلام ونعرفه بالنور الذي حملناه وما وفينا ؟

ثم هل تخفق قلوبنا شوقا لرسول الله صلي الله عليه وسلم ؟
وهل تخفق قلوبنا غيرة علي ديننا ؟

أم أنها خفقات الأغاني التي حولت العشيق الي اله يهب الحياة ويمنعها لا تطيب الدنيا الا بنظرته
وتدل له الأعناق طمعا في لمسة من يده،
فتلتهب عواطف الشباب ويتحسر المتزوجون علي ما فاتهم من سراب نعيم الحب قبل الزواج.

خفقاتنا لم تعد تعدوا انانيتنا وحبنا لأنفسنا بل وقد يتعدي الأمر الي لوم الآخرين ان تخطت

خفقاتهم حاجات أنفسهم.

وعلي صعيد آخر، لماذا تخفق قلوبنا شوقا للزوج فإذا ما أكرمنا الله به ساءت أخلاقنا معه وتمللنا من كل طباعه ورجعنا الي التفكير فقط فى أنفسنا، وفي أفضل الأحوال تناسينا بعده كل خفقات هموم الدين والإخوان. تخفق قلوبنا للأبناء فإذا ما أكرمنا الله بهم لم نعرف حق الله فيهم ولا نريهم الا ما نري.

لماذا تكون خفقات قلوبنا لشهواتنا أشد من خفقاتنا لدين الله ولرسوله؟ لماذا تكون الخفقات شديدة مؤلمة لفراق حبيب ولا تكون بذات الألم حين تثقلنا الذنوب والمعاصي ولا نحرك ساكنا. هل يمكن أن يخرج العمل علي الوجه الأكمل اذا لم تنتفض له الدماء فى قلوبنا؟

هل نستطيع أن نصرف جميع خفقاتنا لله؟ فلا تخفق قلوبنا لحرام ابدأ ؟

الأمر جد صعب ولا أحسب الوصول اليه سهلا، لكني دائما ما كنت اتساءل عن سر مخالفة الجوهر للمظهر، عن سر الإزدواجية التي يحياها الكثير منا والمصيبة ان كان مقتنعا بها راضيا بحاله فيها، ومن لم يرض، هل حاول حقا معالجة نيته ومراقبه خفقات نفسه؟ هل صدقنا مع الله فى توبتنا ؟ هل رجعنا نادمين اليه حقا ؟ وهل سنصبر على الرجوع والتوبة ؟

وإذا ما سألنا الشباب عن خفقات القلوب توهجت العيون وتصاعدت النبضات وخرج الكلام خافتا يحمل آهات وتوجعات، وما أدري كيف يصبرون علي الصباية والشوق يعذبون أنفسهم ويتعبون قلوبهم، يبلغ منهم الحب مبلغه ولا يسعون لتتويجة بزواج قدر سعيهم للإستزادة من العذاب، وللأسف تحولت حياة معظمهم الي البحث عن قصة حب، يعيش فيها مغامرات خياله.

لا أفهم كيف يكون الحب صادقا دون ان يكون حلالا! الحقيقة ان المحبين اليوم لم يعرفوا عن الحب شيئا، انما عرفوا فقط أنانيتهم وشهوات أنفسهم. لو كان يحبها حبا صادقا ما سعي لحديثها أكثر من سعية لأسباب الزواج بها، لو كان يحبها حبا صادقا لما طاق البعد عنها ولكان الزواج أهم من طلب لقائها. لو كان يحبها حبا صادقا لاستحي ان يهديها وردة تسأله بالله ألا يتمتع بها فى حرام.

ثم الا يختلف الملتزم بدينة عن غيره ؟ أليكون همه هو الآخر زوجة جميلة وحياة رغبة سعيدة وبعض الخطب والكتابات الرنانة ؟

أيعقل أن نتساوي خفقات من ذاق حلاوة الإيمان بخفقات هذا الذى لم يعرف الا حاجاته وشهواته ؟

كلا، والله لو كان قلبه صادقا لما أثر الدنيا علي الدين ولما أثر نفسه وراحته على أخوانه.
فليراجع كل منا خفقات قلبه وليجتهد في صونها، عسي أن يأتي يوم تغير فيه خفقات قلوب
رجال منا مجرى الواقع الأليم.

الجزء الخامس بعد الأخير

"بلا عنوان"

ما الناس الا بالقلوب فإن يمت .. خفقاتها فالناس كالأخشاب.
مع لحظاته الأولى ومنذ البداية كان دائما وما زال مستودع الألغاز والأسرار،
ومن يستطيع عنونة لغز او تسمية سر أو سبر أغوار قلب،
بل كيف أسطر أحاسيسا ووجدانا يفيض بمشاعر شتى لا يملك لها قيذا أو وئدا!
وأظّل أعجب من نفسي تنازع نفسي بلا كلل ولا ملل..
وكأننا انسلخنا من عالم غريب وهبطنا على أرض مشوهة بلا ملامح تستنكر وجوهنا وتنفر من
أفكارنا..
فإذا ما فاض القلب حبا وصفاء لأخ أو حبيب، وانقشعت حجب النفس عن بعض خواطرها،
واسترسل اللسان ينهل من معين الصدق الداخلي، فإنى لا أعلم حين أنتهى الى أين انتهى،
كثيرا ما تكون حقائق النفس ولحظات صدقها مصدر ازعاج للمقربين منا أو حتى لأنفسنا ذاتها.
وكثيرا ما نرسم صورا ملائكية للحبيب أو الأخ المقرب فننفي عنه رغبات البشر وأخطائهم،
وننسى أن الإنسان بطبعه ملئ برغبات الأنانية لا يهذهه الا الإسلام وتوفيق الله له فى مجاهدة
نفسه
والإقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم.

فإذا ما لاحت للإنسان لحظة ضعف، ثم اعترف بها بصدق، فمن يغفر له ذلته ويقدر صدقه
وحسن نيته وطيب سريره؟
فحتى المقربين والأحباء نادرا ما يتفهمون ذلك ناهينا عن قدرتهم على العفو الصادق.

من يعرف ذلك لا يندهش حين يجد النفوس تتغير لمثل هذه المصارحات بمكنونات الأنفس،
وندر من يملكون قلبا رحيمًا وجانبا لينا يقدرّون حقا على العفو والتسامح الحقيقي.

فإذا كنا لا نستطيع أن ننسي جرحا سببه قريب أو حبيب فهل نقدر أن نمنع أنفسنا أن تكون سببا
فى جرح آخر ؟
الا نريد نحن أيضا أن يغفر لنا اذا ما أخطأنا؟
أم اننا ننظر فقط من ناحية انفسنا؟

حين أقرأ سيرة الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم وأرى حرصه على الود والتراحم الحقيقي
بين المسلمين،
أفهم أنه مازال ينقصنا الكثير.

وحين أقرأ سيرة الصديق رضى الله عنه وفضله على الصحابة الكرام رضوان الله عليهم، لا
أجد تفسيراً الا
ما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قلبه!

كان رضى الله عنه رقيق القلب رحيماً رفيقاً بالمسلمين، حتى عدة رسول الله صلى الله عليه
وسلم
أرفق الناس بأتمته من بعده صلوات ربي وسلامه عليه.

لم يكن الإسلام أبداً ديناً ظاهرياً أو مادياً يعالج أمور العبادات وفقط،
فقد يجاهد الإنسان ويتعلم العلم ثم لا يجد من عمله اجرا ما لم يتوجه الى الله بقلبه مبتغياً وجهه
وفقط.

ام ترى عجزت قلوبنا عن بسط الرفق والرحمة لإخواننا وأقاربنا بل حتى لأهلينا.

هل سمعتم عن حال صلاح الدين وحزنه وأسفه حتى لم يقدر على الضحك!
وكان أغلال المسجد الأقصى ودماء المسلمين تكبل شفثيه فتعجزان عن الانفراج حتى لإبتسامة.

هو حقا لا يصطنع الحزن والتأثر بل يعيشه ويدمى له قلبه ولا تهدأ نفسه حتى يبذل كل ما فى
وسعه لأرض المسلمين.

وكأنى ببلال وأبى بكر رضى الله عنهما يشكيان حال قلوبهما مع حلال الدنيا لرسول الله صلى
الله عليه وسلم
فيهدئ من ووعهما ويبيثهما فكر التعامل مع بشريتهم بوسطية رائعة،

لكن هل هذا حالنا نحن أيضا ؟
أم أننا ننسي كل شئ بمجرد أن أنطلقنا لنزهة أو رحلة ترفيهية نأتى فيها كثيرا مما لا يحبه الله
ورسوله،
ونغفل عن هموم أمتنا ودماء إخواننا وصراخ مقدساتنا وتراب أراضينا.

كيف ينهض هذا الدين بقلوب لا تعطيه الا فضلات أوقاتها ؟

كيف ينهض هذا الدين بقلوب لم تتشرب سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وكيف أصلح وغير؟

كيف تنهض أمة لا يعرف أبناؤها الا مصلحتهم الشخصية حتى فى أمور دينهم؟

أم ترانا نحن على الله بعباداتنا ونستتكر ان يكون الدين محور قلوبنا وحياتنا؟

أيمكن أن تتغير قلوبنا وتفريق من غفلتها وتتخلص من انانيتها وسليبيتها،
أم ستظل كما هى قلوبا بلا عنوان ؟

الجزء السادس بعد الأخير.

بين الماء والسراب.

مضت فترة طويلة منذ آخر مرة رأيته فيها،
وحسبت أن ما فات مضى وانقضى وأننى ودعت أيامه الى غير رجعة،
فإذا بى أجدنى أستحضر صورته مرة أخرى ليعث الحزن فى نفسى من جديد.

منذ بضعة سنوات كان هناك جواد هادئ مقبل على الحياة لا يدرى عن شرورها الكثير،
مضت حياته غريبة فى تقلباتها تتقاذف الامواج الى وجهة يكاد لا يستطيع التحول عنها.

اشتدت عليه الرياح يوما وهاج عليه البحر حتى ظن أنه الهالك المحقق وأنها النهاية لا محالة،
لكن الله كتب له الحياة من جديد.

لم يفهم حينها أن الريح التى صرخته هى نفسها التى حملته الى البر وقد جففت عنه ما غسلة
البحر بداخله.

وكان هموم النفس ليست كافية ليتجرع معها جراح المقربين وسوء ظن الخلائق.

استوقفنى الأمر كثيرا ولم اجده اما تمحيص يتبعه تكليف عظيم أو غضب نعوذ بالله منه.
أجلس الى نفسي كثيرا ويطوف علي كل ما مررت به لأجدنى رغم كل شئ لم أفقد كثيرا من
روح الجواد الأولى.
ربما تخلصت من قيود الإستكانة وهوان قلة الحيلة، الا أن الله أنعم علي وحفظ لى ذاك القلب
القديم.

وان كان هذا مبعث للسرور فإنه أيضا مبعث للخوف أن يكون استدراجا من الله عز وجل،

أرى ذنوب نفسي ومعوقاتنا وجروحها الغائرة فأطرق رأسي، ثم لا ألبث أن أرفعها اذا ما
ذكرت جود الكريم وفضله.

ترى هل هذا حقا لأتدرب على إجلاء ما سوي الله عن قلبي أم أنها ذنوبي تعجزني وتجلب علي
ما أعانى،
أم هى طبيعة البشر التى تأبى الوحدة وتنفر من قفار الطرق وان كانت خيرا،

ربما لن أعرف الجواب قريبا وربما كانت كل مشاعرى من صنع أوهامي وخيالاتي وربما
استعمال الله قادم،
فلكم أطمع فى منه وكرمه رغم هواني وضعفي.

الجزء السابع بعد الأخير

حكاية قلب.

لطالما أشتاق اليها وأنسج فى خيالى حالي معها،

لطالما تمنيت أن أسبح فى قلبها دون قلق وأن أستأنس برأيها دون كثرة تفكير ومراجعة،

ولطالما ظل قلبي مكلوما يعلم أنه يعيش على مستحيل قد قدر أمره وأنتهي.

وان كان رضاؤنا بقضاء الله عنوان قلوبنا فإن بوحها سلوى وعبراتها تذكرة وحكايتها عبرة.

حين أسرعت المسير سنين عمري وجف ينبوع الهوى فى قلبي تمنيت ان كان لي أم كما
رسمتها.

أمّ تشرّبني حب الله قبل لبّنها، وتغمّرني بحب المصطفى قبل أحضانها،

لكنّا في نهاية الحال لا نملك إلا الرفق لحالها أيا كانت، فلا شك أنّها بذلت قصارى جهدها بحسب علمها.

وسيطّل هذا الحاجز الكبير بين اختلاف الأهداف والطموحات وبين اختلاف الرؤى والتطلّعات عقبة تخنق المشاعر وتمنع النهر من الفيضان.

أسوق اليكم اليوم حكاية الأمّ كما تمنيتها وأسأل أُمّي أن تسامحني فلقد طمح قلبي فيها أكثر مما طمحت هي في.

القصيدة التالية لشاعر لمس الابن الغريب بداخلي وأفصح ببيان كلماته عن أمنيات ظلت حبيسة خواطري.

غفر الله لأمهاتنا وجزاهم عنا خير الجزاء وأجزل لهم العطايا والثواب.

أمّاه كم علمتني معنى الحياة وكم وكم
وغذوتني بالصبر حلو العيش في دنيا الألم
وسقيتني بالشكر كيف سجود قلبي في الحرم
علمتني كيف السمو بأن أسامح من ظلم
علمتني أن المذلة للورى شر النقم
علمتني أن التقى صحو الضمير فلم ينم
علمتني وسقيتني وغذوتني أزكى النعم
أترينني أجد الوفاء بكل ذاء، لا لن ولم
لكنني سأقصّ للدنيا حديثك حيث تم
لترى الخليفة كلها أُمّي كما خط القلم

وحديثها في ليلة ألفيت أُمّي جالسه
ترفو ملابس مزقت عبر السنين العابسه
وشفاها تشدو كلالاً أغنيات ناعسه
وبجرها أختي الرضيعة وهى فينا الخامسة
وعلى الحصير أخ يعالج كسرة متيبسه
والفقر والبرد اللعين بصحبة متجانسه
تردى حياة المعوزين الى مهاو يائسه
فوقفت والشيطان ينفث شره و وساوسه
وصرخت يا أمّاه ما هذى الحياة البائسه

اني كرهت العيش فى دنيا الشقاء المفلسه

وكأنما أمى اصابتها بقولي فاجعة
وكأنما شهدت بليل الكرب رؤيا مفزعة
وكأنما حلت بنا توا جميعا قارعة
فتغيرت وتنمرت ورمت باختى الوداعة
وتناولت كتفى وفيها نظرة مترفعة
ولدي كفرت تراك؟ أم بك جنة متوقعة؟
أتراك تنكر ما لدينا من عطايا رائعة
أرأيتني يوماً شكوت الى الزمان مواجهه؟
إن الشقى هو الكفور هو الحسود الإمعة
فاشكر إلهك إننا سعداء نحيا فى دعة

وذهلت كيف؟ أنحن يا أماه فى خير بديع
وغداؤنا لم يكف يوماً لا الفطيم ولا الرضيع
وكساؤنا مزق وأفضل ما به خيط رفيع
نقضى الليالى ساهرين مؤرقين من الصقيع
هذاك باك، ذاك شاك، ذا سقيم، ذا وجيع
أماه نحن من اليتامى واليتيم هنا قطيع
هاتيك دنيا تشتري حق اليتيم ولا تبيع
هاتيك دنيا سادها ظلم رقيق أو وضع
أين العطاء وذا بلاء حالك طحن الجميع
إني سئمت وما فهمت إلام نحيا كالقطيع

وتسمرت أمي وعيناها تغطيها الدموع
أظننت يا ولدي بأن الفقر فى عري وجوع
أو كان فقرا أن نعيش على ذبالات الشموع
الفقر فى النفس الذليلة أشربت معنى الخنوع
الفقر فى العصيان ينزع منك أنوار الخشوع
الفقر أن ترضى بغير الله يوماً فى ركوع
الفقر، أين الفقر من قلب أبي أو قنوع
الفقر خوف والهدى أمن بآلاف الدروع
الفقر حاشا، فالرضى بين الحنايا والضلوع
ما عدت لى ولدا إذا لم تأت ربك فى خضوع

ورأيت أنى قد أثرت بذاك آلاما دفينة
فلقد بكت أمي وظلت بعد أياما حزينة
ذكرت أبي الملاح راح وما استراح على سفينة

ذكرت أبا قتلته غدرا طغمة البغي اللعينة
ذكرت أبا في دنشواي قضي ولم يكمل سنيته
ذكرت كذاك بأرض غزة أختها تحيا سجيته
ذكرت أخي المفقود لا ندري قتيلا أو رهينة
وتظل تبكي ثم تبكي وهي تعمل مستكينة
وأنا يمزقني البكاء ولا أطيق لذا أنينة
فصرخت يا أماء رفقا اننى لم أعد دينه

أوقد كفرت وقد سكوت فما أنا عبد ضعيف
حقا سكوت وإنما شكوى الضعيف الى اللطيف
اني سكوت بمنطق طفل وإحساس عنيف
قد ثرت اذ شاهدت ما في الناس من ظلم مخيف
أناء، ما أنا، اني يتيم قلبه قلب رهيف
وأنا أجاهد كي أعيش بمسلك حر شريف
أرجوا الحياة وما الحياة لنا سوى حق الرغبة
متسكعا يومي وراء القوت، حانوتي رصيف
أحيا وفي جسدي ربيع انما قلبي خريف
فإذا هفوت وتبت يقبلنى فذا دين حنيف

ورأيت أمة كففت بالصبر أدمعها الثخينة
وغدت تقبلني ايا ولدي الحبيب أنا حزينة
وكانها طير غريب هاجت الذكرى حنينة
حتى اذا أنس الغريب لعروة وثقى متينة
ورأى بها سبل الحياة ذكية السقيا مبينة
متشوقا يوم اللقاء بأرض مكة والمدينة
باتت له كل البلاد بها الهناء والسكينة
مادام نبع الصفو قد زكت مراحة معينة
مادام لم يقرب مدى العمر انحرافات الضغينة
مادام قلبا طاهرا ويدا على عهد أمينة

وتحدثت أمة وكل حديثها ذوق رفيع
فلها من القرآن مذ حفظته تخريج بديع
قالت بني إلى الرضا فإذا رضيت فلن تضيع
أرأيت لو رضيت ثمود بصالح كنا نجوع
أرأيت كان المن والسلوي شكت عنه الدموع
أرأيت كانوا يوسمون بقتل يحيى او يسوع
أرأيت لو ما قال موسى نقتضي أجر الصنيع

كنا شهدنا فى الحقيقة ما يشيب له الرضيع
أبني فارض فإن نور الله فى القلب الوديع
الله يا ولدي فسبح ثم صلي على الشفيع

أقرأت يا ولدي الكتاب كما يراه العارفون
هاتك فاتحة الكتاب فهل وعاه القارئون
وبسر بسم الله ما يغزو التحرك والسكون
أعرفت ما تعنية حاميم وقاف ثم نون
ما السر بين القاف والقرآن لو يتذكرون
ما السر بين النون والقلم في ما يسطرون
ما السر فى عدد الحروف ورسمها اذ يكتبون
أعرفت ما تعنى الصفات وكلها فوق الظنون
هاتك يا ولدي أمور حار فيها العالمون
فإذا شغلت بكونه أتراك تعرف ما يكون

فسألتها يا أم هل عبد تملك قلبه
هل يملك العبد الضعيف نعيمه وسواده
أوليس ربك قد هداه وبعد ذاك أتابه
فيم العتاب وقد قضى العصيان ثم عقابه
قالت ايا ولدي وإذ خلق الجميل أحبه
وكذاك اذ خلق القبيح إرادة قد عابه
فالعلم عرف فضله والأمر عرف بابه
فالزم بني طريقه ونبيه وكتابه
أخلص بني الدين والزم بالقين رحابه
فالله يا ولدي يقرب بالهدى أحبابه

فسألتها فيم الحساب اذن وذا قدر سبق
هذا بتوفيق تعبد ذا بتقدير فسق
قالت بني فذى ارادته تصدق من صدق
والله اعلم بالبرايا حيث قدر أو رزق
هذا ينام على الحرير وإنما يشكوا الارق
هذا ينام على الحصير وفوق بحر من عرق
هذا غني يشتهي أكل الفقير ولو مرق
هذاك أعشي يشتهي عينا ولو فيها احترق
لو قلت كيف، فكيف كنت وأنت فى جرم العلق
ممن يموت مع الفلق أو من يعمر للغسق

فسألتها وإذن فأين العدل بين العالمين
والعدل من أوصافة سبحان خير الحاكمين
فأنا فقير ضائع أشكوا زحام المترفين
أين العطاء من البلاء هنا لمن ذاق السنين
قالت وربك لو عرفت لقلت ذا عدل مبين
هذا له مال وذا ولد وذا علم ودين
هذا له زوج عقيم انما فى المحسنين
هذا له طفل تحير فيه طب الأقدمين
كل تساوي فى العطاء وفى البلاء وعن يقين
لكنما تخفي أمور بيننا أو تستبين

فرجعت أسأل انما الأقدار ذى شئ عجب
أمسير، أمخير، عقل الفتى فيها ذهب
ان كانت الأولي فما بال النعيم أو اللهب
او كانت الأخرى فكيف العبد يسعى للنصب
قالت رويدك يا بني فذى قضايا لا لعب
تحقيقها خلق وإيجاد ورب قد وهب
تسريعها فعل وإسناد وعبد قد كسب
والله قد خلق العباد وفعلهم علما وجب
ولقد أراد بنا كذا منا وذا حد الأدب
فالزم طريق الأمر واترك للإرادة ما كتب

فسألتها يا أم يزعم بعضهم الا إله
الا إله يدير هذا الكون يخلق ما نراه
وبأن هذا الكون خالق نفسه وعلي هواه
وتعللوا بالعقل لا خلاق عندهم سواه
وبأن هذا الدين أفيون الشعوب ولا هداه
بل كلهم طلاب دنيا، كلهم طلاب جاه
وبأن بعد الموت لا بعث هناك ولا حياة
فتعجبت أُمي وقالت ويلتى وا سوءتاه
أوينكر الحق العلي مكذب تبنت يده
نستغفر الله الذى تعنو لعزته الجباه

أرأيت هذا الكون يا ولدى تخبط فى المسير
أرأيت بذرة حنطة قد أنبتت يوما شعير

أرأيت شهد النحل تصنعه مع النحل البعير
أرأيت طيرا تخطئ العش الذى فيه الصغير
فبأى عقل هذه الأكوان تعقل أو تسير
ولكل عقل كبوة مهما بدا كالمستنير
فالعقل فى الإنسان يخطئ فى الصغير وفى الكبير
أترى تراب الأرض أعقل من مفكر الخبير
أم أن هذى فتنة من صنع أفاق حقير
كلا فكل الخلق تعرف ربها حتى الحمير

من ذا يوازن فى الخليفة بين أنثى أو ذكر
بين العناصر فى الهواء وذاك من سر القدر
فنفاية الإنسان وا عجا، حياة للشجر
وزفير هاتيك الشجيرة منعش صدر البشر
والذرة الخرساء نادت وهى تنذر بالخطر
يا أيها الإنسان حاذر اننى ذر فذر
ولدي من سر الحياة شمس كلا لا وزر
ولأنت ان حطمتنى حطمت نفسك فى سقر
ان البهائم حين ترعى ليس ترعى فى الحجر
فاحذر وعد يا مستبد فأول الشر الشرر

فالكون هذا الكون يعرف بالسليقة مبدعه
لا بل ويعرف قدره فى العالمين وموضعه
فإلهنا الرحمن أعطى كل شيء عن سعه
للوحيش أنياب وفى الأسباط تحيا القوقعه
وجميعها قد سبحت أحدا ولا أحد معه
أما أولاء فحسب إبليس اللعين الأربعة
فهم الحقود أو الجهول أو الغبي الإمعه
أو داعر متحلل مما إلهك شرعه
والطفل يعرف قدر ثدي الأم لما أرضعه
أما أولاء فكاللقيط ليس يعرف صانعه

فسألتها يا أم يزعم بعضهم كسب النبي
وبأنه حقا رسول الله مخلوق ذكي
لكن وصف العصمة العصماء لله العلي
فجميعنا بشر أبونا آدم الأعلى نسي
وبأن وحي الله فى التشريع والذكر الجلي
لكنه فى غير ذلك مثلنا بشر سوي

وبأن هاتيك الشفاعة يوم يبعثنا الولي
فلنجاهد لننال بعضا من مقامات النبي
فتعجبت أمي وقالت ذاك مفهوم غبي
لو كان ذاك كما تقول لجاى كل ضحى نبي

أرأيت رب العرش أهدى الذكر الا مصطفىاه
أتراه كرم فى الكتاب بمثل ما أولى عداه
أتراه فى الإسراء والمعراج يلحقه سواه
أيريه أية ربه الكبرى ولم يبلغ مداه
أويقسم الرب العلي بغير ذى عز وجاه
أوليس أول من تشق الأرض عنه مجتبا
أينال مرتبة المشفع غير محبوب الإله
ولعصمة المعصوم أمر ربك الهادى قضا
إن النبي بني لو حققت ديوان الهداه
ولسوف تعرف عنه يوما فوق ما يحكى الرواه

أقرأت فى الأحزاب يا ولدي؟ فكيف رأيتها؟
أتراه يصبح أسوة لو لم يقم فى المنتهى؟
أقرأت يا ولدى بأى الفتح كيف وجدتها؟
ويتم نعمته عليك، تراك كيف فهمتها
ولو أنهم جاءوك قل لى أين، هل أدركتها
ولسوف يعطيك الإله، ترى بني نسيها
أعرفته الا به أم أنت قد أولتها
لا يا بني فتلك أذواق فهلا ذقتها
ولسوف تعرف قدره يوما وحسبك وقتها
ولإن سألت شفاعة الهادى هنا لرزقتها

فسألتها يا أم إن المصطفى باب الوصول
وله الوسيلة والفضيلة والشفاعة والقبول
ولديه من ثقل الرسالة ما تنوء به الفحول
فهو الإمام، هو الأمير، هو المعلم والرسول
وهو الذى زهد المتاع فزهرة الدنيا فضول
فيم الزواج بتسع زوجات عدا أم البتول
فتهدجت أمي وثارت مثل إعصار مهول
قالت حذار مداخل الشيطان يا هذا الجهول
فلكم رأيت نقيع ثم الشك يعصف بالعقول

ولأنت ان تغزو الشكوك هلكت أنت ومن تعول

إن الرسول بني ميثاق الإله به استهل
وبه كمالات الخليقة كلها منذ الأزل
فهو المكمل في الشريعة والعقيدة والعمل
وهو الدليل لكل من يرجو الحياة بلا زلل
كملت مقامات الهداة به فذا بدرا أهل
لو كان ينقص ذرة دون الكمال لما اكتمل
أتراه يأمر بالزواج وينثني نحو العلل
أيعيش رهبانية سبقت وخربت الملل
كلا فذا وجه الكمال لنا وذا أعلى مثل
وتعدد الزوجات بعد شريعة الرب الأجل

وانظر لمن سبقوه بعثا من رسول أو نبي
يعقوب كم زوجاته يعقوب ذا رأس البكي
وكذاك داود الذي أبكي الجبال مع الشجي
وكذا سليمان الذي قهر الشياطين العصي
من ذا يحرم ما أحل الله غير فتى شقي
وزواج طه شرع ربك للضعيف وللقوي
فالدين يبني أسرة الأطهار بالشرع الجلي
لو كن يستهوينه لأسرنه وهو الفتى
وخديجة الكبرى لتقطع وحدها أنف الغوي
نعمت لنا أمّا ونعمت خير زوجات النبي

من للأرامل ان غدون بلا معين أو نصير
من للعقيم وقد غدت تخشى ويقلقها العشير
من للتي ترعي الصغير اذا استبد أبو الصغير
من للتي تخشي المفاتن وهي شر مستطير
من للتي ترجوا الكفيل ولو أخا كوخ حقير
من للتي باتت كقوس الصبر أو ظهر البعير
من للتي تشكو بلاء جفف الغصن النضير
أترى يعيش على البلاء فيثمر الشر الكثير
أم يرتضين تعدد الزوجات في كنف العشير
هاتك يا ولدي شريعة ربك المولى الكبير

فإذا أسى طه النبي يضم الجرح الأليم
اذ ضم سودة بعد زوج مات مغترب الرقيم

أو ضم عائشة الحنون على المزمّل كالنسيم
أو ضم حفصة بعدما فقدت مهاجرها العظيم
أو ضم زينب من خزيمة وهي أرملة الحميم
أو بنت زاد الركب ذات الهجرتين حمى اليتيم
وكذا جويرية التي انتزعت من المجد القديم
وكذا صفية إذ رأت قمرا ففازت بالنعيم
واختم برملة هل ترى إلا الكرامة للكريم

أوقد عرفت، فقلت إى، قالت فتب عل الغفور
فأجبت ما أنا منك فالشك ما لأك الصدور
فلقد سمعت، فقاطعتنى انه طه الطهور
كم كان يشناق البنين ففى بنيه هدى ونور
ولقد تزوج عل احداهن تعقب من زهور
لكن ربك لم يشأ وإلهنا بر شكور
جعل التعدد رخصة للقادرين ذوى المهور
وكذاك قد جعل الطلاق لدفع الآف الشرور
والعبد ما ملكت يده حساب يوم النشور
من زل ذل ومن أهل هدى فولدان وهور

فسألتها يا أم فيم اذن عبارات العتاب
والله أنزل عدة الآيات منها فى الكتاب
قالت رويدك يا بني فذاك من لب اللباب
فالله جل جلاله رب المثوبة والعقاب
ويعلم العبد الضعيف بمن على سيف الحساب
أولست تقرأ كيف قدم عفوه قبل الخطاب
ونبينا قبل النبوة لم يرد شيئا يعاب
أفبعد أن شرح المهيم صدره ثم ارتياب
حاشا وكلا فهو طه صاحب السؤل المجاب
كلا فما أحلى حديث الحب حتى فى العتاب

فسألتها يا أم لكن شرعنا شرع شديد
والشرع شرع للجميع فلا مراد ولا مرید
وتعدد الزوجات شرعا للقريب وللبعيد
أوكن تسعا للرسول وأربعا للمستزيد
قالت فلا تعجل ففى القرآن اعجاز شديد
واقرا من الأحزاب ترُجي من تشاء كما تريد

قد كن تسعا وقتها فأحلهن بلا مزيد
وتنزلت بعد النساء بأربع وهو الشهيد
أترى يطلق وهو لم يؤمر وذا شرع حميد
والله يحكم لا معقب فهو ذو العرش المجيد

وانظر لما قال العلي لهن فى الذكر المبين
لستنن قط كخيركن ولا نساء المرسلين
فالله كرمهن تكريما يثير الحاسدين
هن اللواتي صرن فينا أمهات المؤمنين
حرمن تأبيدا على أبنائهن المسلمين
وغدون بعضا من حمى الرحمن فى أعلى اليمين
أيصرن بعد مطلقات قد يسئن ولا ضمير
والمصطفى الهادى أتنا رحمة للعالمين
ولذاك أمسكهن مأذونا من الحق المبين
ولذاك ممن فاز فيه المصطفى دنيا ودين

فسألتها يا أم كيف وشرع مولانا جلي
لما أراد بنو هشام رفعة النسب الزكي
غضب النبي وقال لا وأبى الزواج على علي
قالت بني فذا رباط ليس يرضاه العلي
ما كان للبننت اختيار فى ابى جهل الشقي
لكنما يختارها من ليس صهرا للنبي
وافهم ففى مولاتنا الزهراء سلطان قوي
هاتيك سيدة النساء لنورها قهر جلي
من ذا يطيق القهر ان غضبت ولا حتى علي
عند البتول وأمها يقف التعدد يا غبي

فسألتها يا أم كل الشرع فى الذكر الحميد
فلم المذاهب، هل ترين أتت بتشريع جديد
أم أننا نهوى الخلاف على رقيب أو عتيد
قالت فهذى رحمة الرحمن رفقا بالعبيد
فبنا القوي بنا الضعيف بنا المعمر والوليد
فالعارفون حقيقة طلبوا العزائم بالقديد
والزاهدون طريقة رغبوا النجاة ولا مزيد
والعالمون شريعة عبده بالرأى السديد

وجميعهم وبفضل ربك من ذوى القلب الرشيد
فهم جميعا كالنجوم هدى فتابع من تريد

واقراً معي حكم الطهارة كم بها معنى خفي
واقراً بأحكام الرضاة مالكا والشافعي
هذا له سند وذا سند وذا أمر جلي
أما اختلافهم برحمته فذى سعة الولي
فالراشدون جميعهم أفتوا على شرع النبي
وبنوا على نص الحديث الثابت السند القوي
قد زانهم قلب تقي زاهد بر زكي
واستحفظوه كتاب ربك فى فؤاد عبقرى
فالعلم جد واجتهاد فى رضى المولى العلي
فانظر وسلم يابني ففي الرضى شرف وري

فسألتها يا أم لكن كل شيء فى الكتاب
فلم الحديث وفى الحديث مذاهب فى كل باب
يكفى لنا القرآن فهو مبرأ مما يعاب
قالت أعوذ برب طه من متاهات السراب
هذى بنى مزلق هذاك سم ذى حراب
واقراً بآيات النساء كذا فى النحل الجواب
لتبين التنزيل قل للسائلين وفى الرقاب
كيف الصلاة كذا الزكاة كذا النوافل والحساب
من ذا تلقى الوحي يا ولدي كفاحا فى الرحاب
لولا يا ولدي لما سجد الملائك للتراب

فسألتها يا أم لكن كلنا رهن القدر
فلم التقيد بالمذاهب وهى من صنع البشر
أوليس أولى أن نفتش فى الكتاب وفى الأثر
قالت فسوف ترى المذاهب كالرذاذ من المطر
والجهل إن تمسكة حمق وهو إن تنفق غرر
والعلم إن تنشره شمس وهو إن تستر قمر
أين الأئمة من قريش نورهم شق النهر
أين الرجال من الذين لهم أنين فى السحر
بخل الزمان بمثلهم فقهاء من أهل النظر
كلا فقد دار الزمان وأكثر الخير اندثر

فسألتها يا أم فيم نقول ذى كتب صحاح

والمتن مهما كان ثبتا نقضه شيء مباح
وصحيح ما ندرى هو القرآن مفتاح الفلاح
أوتقرئين حديث هاتيك الذبابة فى ارتياح
قالت وربك من يشك به لمفتون وقاح
هذا البخارى الإمام الثبت مصباح الرباح
لو صح بعض دون بعض لانتهى المبنى وراح
ومصادر التشريع أربعة بهن الفجر لاح
تنزيل ربك والحديث وما أقر أولو الصلاح
واختم بما استن القياس فمن أبي فالى السلاح

أما الكتاب فليس ينكره سوى من قد كفر
وكذاك فى متواتر المروى عن خير البشر
والسنة الكتب الصحاح أقرها أهل النظر
واحذر فإن الشك يزحف فى النفوس على حذر
فإذا انزلقت شككت فيما قد تواتر من خبر
وتظل هاتيك السموم تسوقنا للمنحدر
حتى اذا انتهك الحديث تصدعت عمد الأثر
ويصاب من بعد الكتاب بما تجمع من خطر
وكذاك نصبح لا كتاب ولا حديث ولا وزر
ولذاك ما يبغي الطغاة وإنما يأبى القدر

فسألتها يا أم مال الناس قد ضلوا الطريق
وغدوا على جهل جهول بالعدو وبالصديق
يتعصبون بلا هدى وكأنهم رأس المضيق
هذا كفور ذا جهول ذاك بدعي عريق
هم وحدهم جند الإله وغيرهم أهل الحريق
ويقودهم متبجح بالزهد يربيه البريق
متفيسه بلسانه والقلب سفاح عريق
قالت بنى فهؤلاء خوارج الفكر العتيق
فالدين دين الله ليس لمدعى العلم الصفيق
والله لو ملك الجهول لكان كل دم يريق

فسألتها يا أم كيف ترين تطبيق الشريعة
قالت فذا عين المنى فعساك أن تحيا جميعه
فسألتها أوأخذ بعض دونما بعض وجيعة

قالت فنصف الكفر كفر فاخش من سم النقيعة
ماذا تقول عن الربا مهما تغلفه الخديعة
ماذا تقول عن الخيانة وهي مهلكة وضیعة
ماذا تقول لأمة لیست لمولاها مطیعة
تحیا العفاف شفاهها وقلوبها تحیا خلیعة
كلا فلن یحیا الهدی الا من استهدى شفیعه
فإذا حییت الشرع فی مضر فقم واشهد ربیعة

فسألتهأ أولیس رب العرش یعطی سائله
قالت وعن سعة بنی فكم عطايا هائله
فسألتهأ أماه کیف أنال زوجا فاضله
کیما تشارکنی جهاد الرزق ثم وسائله
قالت أیا عجباً أتطلب زوجة أم عائله
فالرزق مقسوم وان عنا بسعی نائله
أتشک فی رزق الإله فبت تسأل سائله
أترى الزواج تجارة أتعین ربک غافله
أولیس ربک قال قرن لفضلیات کامله
یا حسرتا فسد الزمان فما أشد ردائله

فسألتهأ یا أم شرع الله قام علی العمل
فلم النساء وهن نصف الشعب یحرم من الأمل
والله قال قل اعملوا هاتیک أيام دول
ونساء طه المصطفی یضربن فی هذا المثل
قد کن یغزلن الثیاب وهن أطهار الأزل
قالت بنی فخف إلهک واخش من عقبی الزلل
أترى المصانع والمزارع للنساء بها محل
أترى الحوامل قد أمن من الزحام المستغل
أترى البکارى اذ یثرن علی عبارات الغزل
وقل اعملوا حقا ولكن فی رضی الرب الأجل

من ذا یحب لزوجہ وبناته هذى الفطائع
نزع الحیاء فلم نعد نلقى سوى أنکی الفواجع
فتن تطل برأسها تغری الجماد بلا براقع
کم خلفت بیتا شقیا کل طفل فیہ ضائع
هو للحنان ولأُمومة ظامئ أبدا وجائع
وكرامة الأنثى أمومتها فكم فیها روائع
مهما یکن فحنان أمك لا تقاس به المراضع

إننا فقدنا الدين والدنيا وضيعنا الشرائع
وقل اعملوا هـى للنساء وقرن يا هذا المدافع
وقل اعملوا حقا ولكن غير هاتيك القواطع

وانظر بني فهل رأيت الرزق زاد أم انعكس
والأمر وا أسفاه يسير القهقري وقد انتكس
فالخير كان بأرضنا نهرا زكيا فاحتبس
كان التوكل نعمة كبرى لكل فارتكس
كان الفقير يرى الرضى فى بعض شيء من عدس
والآن حتى ذاك أيضا غاب عنا وانحبس
ضاع التوكل مذ لزمنا المشركين وهم نجس
خدعوك يا ولدي فقالوا الشمس تحتاج القبس
صدقتهم فغدا الزمان وقد تغير بل عبس
وقل اعملوا حقا ولكن لا حرام ولا دنس

فسألتها يا أم كيف أعيش فى رغد هني
وأنا أخاف الفقر أخشى عيلة تردي الشجي
يكفى لنا طفلان يا أمي فذا زمن عصي
ذكرا وأنثى كى نعيش حياتنا عيش الغني
قالت معاذ الله يا ولدي فذا كفر جلي
من ذا يشارك ربنا فى خلقه الخلق السوي
إن كنت تعلم غيبه فاختر لنفسك يا ولي
أو كنت تعرف أين رزقك فارتزق يا عبقرى
أو كنت تدرى العمر فاغنم عمر نوح يا فتي
هاتيك من خدع العدو لنا فحاذر يا صبي

فسألتها يا أم أين هو العدو فذى شتيمة
قالت بني فهل جهلت ذوى الدسائس والسخيمة
ماذا تقول لعصبة تجد الربا أحلى غنيمة
ماذا تقول لأمة بات الزنا فيها سليمة
ماذا تقول لقرية يجد الغوي بها نعيمة
وهم ألد الناس أعداء لأمتنا العظيمة
فرسولنا قال اكثروا تلقوا من المولى نعيمة
لكن أعداء الهدى قالوا تكاثركم جريمة
فهم يريدون اضعاف الدين حتى لا نقيمه
ولأنت إن واليتهم حطمت شرعتك القويمة

كم زيفوا كم حرفوا عمدا رسالات السماء
مازال عجل السامري بقلبهم وله الولاء
فالمن والسلوى أبوه وما ارتضوا الا الغناء
والأصفر الرنان ربهم له يتلى الدعاء
كم دبروا من فتنة كم قتلوا من أبرياء
فهم يريدون الورى المستضعفين الأغبياء
الخاملين العاطلين من العزيمة والمضاء
كى نستذل لكى نظل من العبيد أو الإماء
وليهلكنهم الإله بقتلهم للأنبياء
وبذبحهم للأبرياء وحبهم سفك الدماء

واسمع لداروين اذ يعرف جده بين القروء
ماذا يريد سوى جحود الواحد الأحد الودود
واشهد فرويد الفذ قال الجنس أستاذ الوجود
ماذا يريد سوى الرذيلة وهي تعتصر النهود
وانظر لماركس اذ يقول الدين أفيون كؤود
ماذا يريد سوى خراب الكون بالغل الحقود
واقرأ لهرتزل اذ يخطط فى بروتكول اليهود
ماذا يريد سوى الدمار لنا وها نحن الشهود
أترى مصادفة بأن أولاء جمعا من يهود
أم أن حية خبير الرقطاء شيطان ولود

واقرأ من العهد القديم فكم حشوه من الهراء
فلكم وكم نسبوا الخطيئة ويلتا للأنبياء
نسبوا لإبراهيم إثمًا وهو زور واقتراء
نسبوا للوط فعلة يندى لها وجه الحياء
نسبوا الى يعقوب إفكا وهو من هذا براء
نسبوا الى داود ما ياباه حتى الأبدياء
نسبوا سليمان النبي الى التشكك فى السماء
ولقد أرادوا قتل عيسى بعد يحيى حين جاء
يا ليت أنك بختنصر قد قضيت على الوباء
لكن ربك لم يرد حتى نرى هذا البلاء

فسألتها يا أم أخشى منهم كيدا وإنه
قالت فإنا لا نخاف سوى الإله وتلك منه

كنا رماحا فى يد الحق الذى يرعى الأسنة
كنا جلودا كلنا لا ننحنى حتى الأجنه
حتى الشيوخ فلم يكن يرعى المجاهد فيه سنه
حتى العجائز كم رأيناهن فى قمم مسنه
كل العدا كانت تحاذر بأسنا إنسا وجنه
فالحق فىنا ثورة شماء لم تك مستكنه
والحق حق يا بني وحقنا ما فيه ضنه
فإذا نصرت الله يا ولدي وفى طه فإنه

واعلم بني بأنهم يخشون بأس المؤمنين
فهم الذين يقاتلون عدوهم متحصنين
ولباس عبد مؤمن أقوى وأقطع باليقين
فالحق يعطى اهله عزم الأباة المتقين
الله أكبر يا فتى نحن الاولى قطعوا الوتين
قطعوا وتين الكفر وانتعلوا رؤوس المشركين
أنا لا أخاف سوى هواك فأنت فى حصن حصين
فالله يحفظ جنده فى عزة الدين المتين
وسيرفع الله اللواء، لواء خير المرسلين
وستهتف الدنيا معا حمدا لرب العالمين

فسألتها يا أم شيء حير العقل الزكي
كيف الحضارة عندهم لا عند أتباع النبي
ولنحن أقرب منهم لله فى الدرب السوي
فالكهرباء ومعجزات العصر ما يرجو الخلي
هاتيك مخترعاتهم والشرق فى نوم هني
جازوا الكواكب وانثنوا نحو الفضاء السرمدي
أترينهم يا أم هم أم نحن أتباع النبي
فتبسمت أُمى وقالت هذه سنن العلي
فالله قدر للمُجد نصيبه نعم الولي
من جد للدنيا فدنيا والمنازل للنتقي

وانظر بني الى الجدود فكم سعوا فى كل واد
كانوا الأئمة فى العلوم وفى الفنون وفى الجهاد
كانوا هم الرواد للدنيا بجد واجتهاد
صناع تاريخ الورى صناع أمجاد شداد
يرقون أسنام الفضاء لكل يوم فى ازدياد
بلغوا الحقيقة فى التقى بلغوا النهاية فى المراد

أخذوا من الأسباب ما يرضى به رب العباد
ولذا غدوا علماء بل حكماء بل سقيا وزاد
ولذا فقد ازدهرت حضارتهم فما عرفوا الفساد
ملكوا النفوس فملّكوا وغدوا سلاطين البلاد

وانظر بني فكيف زال الملك عنا فى سنين
لما تقاعس بعضنا عن نصر بعض خائفين
لما تفرقنا بأطماع تزل الطامعين
أرأيت أندلس التى راحت من المستضعفين
خنا قضايانا وخنا ربنا، خنا اليقين
والله لا يهدى وذا القرآن كيد الخائنين
فتمزقت إربا وعن ضعف بلاد المسلمين
هم جاهدوا فجزاهم المولى جزاء الصابرين
والمسلمون تواكلوا فأذلهم دنيا ودين
فانهض وقم واعمل بني فنعم أجر العاملين

فسألتها يا أم فيم الحرب فى دنيا السلام
والهنا وهو السلام رسوله خير الأنام
أونحن بالسيف انتجاعا للمحبة والوئام
قالت: فكيف اذا ظلمت هل تولول فى الظلام
أم تبذل الروح انتصارا للكرامة والكرام
والكون يحتقر الضعيف فكل مغلوب يضام
هل كان قيصر داعيا او كان كسرى للسلام
هذى خديعتهم لنا حتى تفاجئنا السهام
كلا ورب العرش واسأل ركن من البيت الحرام
من أنكر الحق استحق الرد من حد الحسام

واقرا من القرآن ان ما شئت تاريخ اليهود
واقرا من التوراة فاسم الههم رب الجنود
وانظر لمن زعموا المحبة كيف هم بيض وسود
كم قتلوا باسم المسيح وباسمه خانوا العهود
ومحاكم التفتيش تشهد بالمذابح والجحود
أنسييت ما فعل الصليبيون فى أرض الأسود
قالوا على الأرض السلام وفجروا الغل الحقود
قالو وبالناس المفرة يوم أن ذبحوا الجود
وانظر صلاح الدين منتصرا وكلهم شهود
فالعفو ضعف فى الذليل وقوة فيمن يسود

أرأيت حراً يستذل ولو مضي في غير زاد
أرأيت طالب رفعة في غير جد واجتهاد
أرأيت من ترك الجهاد ولم يشرد في البلاد
فشرعية الإسلام لا ترضى الهوان ولا الفساد
واقراً أعدوا ما استطعتم ثم قم ثبت الفؤاد
وانهض ولو فرداً لربك فالجهاد هو الرشاد
من لم يجاهد عمره فهو المجندل في السواد
اولم ترى الإسلام أصبح بعد بدر في ازدياد
فانهض وأذن بالجهاد وعش وامت ثبت العمداد
وإذا سئلت فقل نعم الدين عمدته الجهاد

واحذر بني شباكمهم فلكم لهم مكر خفي
اذ يعزمون بأن دين الله قام على القسي
كلا وأيم الله فالإسلام يجتذب النقي
واسأل دعاة في فجاج الأرض كلهم وصي
أرض المغول وفي الملايو والفلبين القصي
أمم سعت وعلى اقتناع بالهدى نحو النبي
وانظر خراسان التي قد أنبتت ألفى ولي
هل كان في هذا غناءً عن جهادهم الأبى
كلا فدين الله سلم للذي يرجو العلي
أما الذي يبغي فإن جهاده فرض قوي

واقراً جدودك يا فتى وامحو الظنون السائده
وانظر معى ثمر الجهاد وطق بني مشاهده
هاتيك بدر ذى حنين ذى تبوك الخالده
واشهد معي اليرموك حيث ترى الخلود وخالده
والقادسية حطمت احلام كسرى البائده
حطين كانت للنسور وللجوارح مائده
ونداؤنا في عين جالوت يخلد قائده
واذكر رشيد فكم بها طير تصيد صائده
رمضان حيا جند مصر لأرض سينا عائده
فإذا سئلت فقل نعم انا من شعوب رائده

فسألتها يا أم كيف أجاهد البغي الدني
بالمال أم بالزاد أم ترين بالذكر الخفي
قالت فبئس جهادكم هذا المرقع والزري

ان الجهاد بني بالنفس العزيزة للأبي
فالمال بيتاع السلاح وليس يدفع للشقي
فانهض وقم جاهد بسيف الله ذى القهر الجلي
وانصر أخوا الإسلام مهما كان فى فج قصي
إما ظلمت فقل بسيفك نحن اتباع النبي
فإذا انتصرت فقل بقلبك نحمد الله العلي
وإذا سئلت فقل نعم أنا مسلم حر قوي

فسألتها يا أم كيف ترين يرقى المسلمون
قالت بني اذا أقام العدل فينا الحاكمون
واذا تعفف عن تراب الأرض فينا العالمون
واذا أقام الشرع بسم الله فينا الراشدون
واذا توارثنا الأمانة لا فساد ولا مجون
واذا صدقنا واستقمنا لا كذوب ولا خئون
واذا علا علمُ الجهاد، فتركه شرعا جنون
وغدت حياة المسلمين تقول إنا مؤمنون
وتقاسموا الأرزاق حتى لا نذل ولا نهون
ولرحمة الرحمن خير بعد مما يجمعون

فسألتها يا أم كيف ترين أسباب الوصول
قالت من القرآن يا ولدى فذا باب المثل
فسألتها وصلاتنا أمى على طه الرسول
قالت نعم بعد الكتاب فإنه أصل الأصول
فسألتها ودعاؤنا يا أم عن سبق النقول
قالت نعم بعد الصلاة على ابي الزهرا البتول
فسألتها أقرأتِ ورداً عن أئمتنا الفحول؟
قالت نعم بعد الدعاء فعنه عمرى لا أحول
فسألتها واذا سئلت عن الخلاصة ما أقول؟
قالت فقل اطعم حلالا واستقم تحيا القبول

فسألتها يا أم كيف ترين إخلاص العمل؟
قالت اذا استحضرت فيه دائما قرب الأجل
فسألتها ما الزهد، فيما ولست بعد المكتمل
قالت اذا استحييت من مولاك قصرت الأمل
فسألتها ما الصبر ان الصبر مُرٌّ حين حل

قالت اذا عشت الرضا أليست بالصبر الحل
فسألتها ما الشكر كيف وكل فعل ذو علل
قالت اذا استبرأت من دنياك لم تحيا الزلل
فسألتها أماء أخشى القبر قالت ذا خطر
فالقبر للأخيار روض ذو نعيم لا يمل

فسألتها يا أم كيف ترين تنصلح القلوب
قالت اذا التسليم تم لوجه علام الغيوب
فسألتها ذنبي عظيم اننى كلى عيوب
قالت فيأس العبد أردى عند غفار الذنوب
فسألتها لكننى أخشى غدا شر الخطوب
قالت أشد الخطب يا ولدى هنا ألا تتوب
فسألتها كيف السبيل وليس لى عزم دؤوب
قالت فإن يك للهوى درب فالتقوى دروب
فسألتها كيف التطهر توبة قبل الغروب
قالت بالاستغفار فى الأسحار تنكشف الكروب

فسألتها كيف السبيل وما لنا فى الله حيله
قالت فسل بالمصطفى نعم المشفع والوسيله
فسألتها ومتى يرى العبد المحب له دليله
قالت بنور المصطفى أرايت يا ولدى مثيله
فسألتها هل نسأل المولى به او بالفضيله
قالت فإن الله لا يرضى بمن يجفو خليله
فسألتها أفلا أجاهد باسمه أهل الرذيله
قالت ولا تهدأ فسيف الحق ما أحلى صهيله
واصدق وبر الوالدين ففى الرضا منح جميله
الله يا ولدى فدا طه فقم والزم سبيله

فسألتها يا أم كيف أعيش فى نور الحبيب
قالت بدمع الليل كم فى الدمع من طب وطيب
وأقم صلاتك بالزكاة تبرء مما يعيب
وأقم زكاتك بالصلاة بذكره بفم رطيب
وأقم صيامك محرم الأشواق ما لج المغيب
وانهض وأحرم بالصيام عن السوى تطفي اللهيب
وانصر أخاك وقل لجارك يا بني وللغريب
وعد المريض وعد على أهل البلاء بما يطيب
فإذا لزمتم فقد علمت لكل مجتهد نصيب

واقراً معى وقل فتح من الله وقل فتح قريب

فسألتها كيف السبيل اذن لكسب المعمه
قالت كتاب الله فالزم مؤمنا ما شرعه
فيه الحياة به النجاة به السمات الجامعه
الباقيات الصالحات الطيبات الممتعه
وبه الهدى وبه الرضا وبه الغنى وبه السعه
بيدى لنا عن كوننا فحوى الأصول الأربعة
نار الجوى لطف الهوى ترب النوى ماء الدعاء
ما أبدعه ما أجمعه ما أرفعه ما أروعه
ان تتبع لا تبتدع قم واستمع واصدق معه
الله يا ولدى والا زلزلت والواقعه

فختمت أسئلتى وكيف سيدفع الله البلاء
قالت فإن ترجو المجيب فثق بمن أوحى الدعاء
واذكر أخافت أم موسى بين تابوت وماء
أو خاف ابراهيم وهو يرى اللهب الى السماء
فسألت لكنى عصي والتقى شرط الرجاء
قالت فإن الله للمضطر مهما قد أساء
فأبوك آدم قد تلقى ما أفيض به العطاء
فادعو المهيمن بالشفيع وآله والأنبياء
واسأله بالقرآن يا ولدى فذا خير الدعاء
واحيا الرضا عبدا وقل جل الإله وما يشاء

الجزء الأخير.

"الإتجاه المعاكس!"

إن المسلم لم يخلق ليندفع مع التيار ويساير الركب البشرى حيث اتجه وسار،
بل خلق ليوجه العالم والمجتمع والمدنية ويفرض على البشرية اتجاهه،
ويملى عليها إرادته لأنه صاحب الرسالة وصاحب العلم اليقين،
ولأنه المسؤول عن هذا العالم وسيره واتجاهه، فليس مقامه مقام التقليد والإتباع
إن مقامه مقام الإمامة والقيادة ومقام الإرشاد والتوجيه ومقام الأمر الناهى،
وإذا تنكر له الزمان وعصاه المجتمع وانحرف عن الجادة لم يكن له أن يستسلم ويخضع ويضع
أوزاره ويسالم الدهر،
بل عليه أن يثور عليه وينازله ويظل فى صراع معه وعراك حتى يقضى الله فى أمره.

إن الخضوع والإستكانة للأحوال القاسرة والأوضاع القاهرة والإعتذار بالقضاء والقدر من شأن الضعفاء والأقزام،
أما المؤمن القوى فهو بنفسه قضاء الله الغالب وقدره الذي لا يرد.

محمد يوسف موسى من كتاب: ماذا خسر العالم بإنحطاط المسلمين